**التيارات اليمينية واليسارية في أوربا**

**أ. م. د. ابتسام حاتم علوان**

**قسم النظم السياسية والسياسات العامة**

**المقدمة :**

تفتقر الأيديولوجيات بصورة لا تتغير الى الشكل الواضح والاتساق الداخلي للفلسفات السياسية : فهي متماسكة بدرجة تزيد او تنقص . وينبع افتقارها للشكل في جزء منه الى حقيقة ان الأيديولوجيات ليست انساقا ً فكرية مغلقة على طريقة النُساك، بل هي نمطيا مجموعة سائلة من الأفكار التي تتداخل مع الأيديولوجيات الأخرى وتظلل بعضها البعض . ولا يدفع هذا فقط التطور الأيديولوجي ، بل انه يقود أيضا ً الى ظهور اشكال أيديولوجية هجينة ، مثل الفكر المحافظ الليبرالي والنسوية الاشتراكية والقومية المحافظة . بل اكثر من ذلك ، تتضمن كل أيديولوجيا عددا ً من التقاليد ووجهات النظر المتنوعة وحتى المتنافسة ، وليس من غير الشائع ان تكون السجالات بين انصار نفس الأيديولوجيا اكثر انفعالا ً ومرارة من النقاش بين انصار الأيديولوجيات المتنافسة ، لان الامر يتعلق بالطبيعة الحقيقية للأيديولوجيا محل السؤال – فما الاشتراكية "الحقة" والليبرالية "الحقة" والفوضوية "الحقة" ؟ وتصبح تلك الصراعات داخل التقاليد الأيديولوجية وبينها اكثر اختلاطا ً واضطرابا ً لحقيقة انه يتم خوضها باستخدام نفس المفردات السياسية ، حيث يضفى كل جانب على مصطلحات مثل "الحرية" و "الديمقراطية" و "العدالة" و "المساواة" المعاني الخاصة به . ويلقى هذا الضوء على المشكلة التي اطلق عليها دبليو بي جالي (55-1955) المفاهيم الخلافية بصورة جوهرية " ، وهي مفاهيم تدور حولها خلافات على درجة من العمق بحيث لا يغدو من المستطاع ان يظهر لها تعريف مستقر او متفق عليه .

وبهذا المعنى ، يغدو مفهوم الأيديولوجيا بكل تأكيد "خلافيا ً بصورة جوهرية"، وكذلك الامر بالنسبة للمصطلحات الأخرى التي يتم عرضها في قسم " منظورات" الوارد في نهاية كل فصل .

على اية حال ، لابد ان يكون هناك بوضوح حد لعدم التماسك او الافتقار للشكل في الأيديولوجيات ، لابد ان تكون هناك نقطة تفقد الأيديولوجيا عندها هويتها وربما يتم امتصاصها في أيديولوجيا منافسة لها ، إذا ما تخلت عن مبدأ اثير لها على وجه الخصوص او احتضنت نظرية استهجنتها قبل ذلك . أيمكن لليبرالية ان تظل على ما هي عليه لو تخلت عن التزامها بالحرية ؟ هل ستظل الاشتراكية اشتراكية لوقت طويل لو اصبح لها شهية للعنف والحرب ؟ إن احدى السبل للتعامل مع هذه المشكلة ، حسبما يرى ميشيل فريدين (1996)هو إلقاء الضوء على مورفولوجية الأيديولوجيا ، أي شكلها وبنيتها ، من خلال مفاهيمها المفتاحية ، بنفس الطريقة التي يساعد بها ترتيب الأثاث في الغرفة في التمييز بين المطبخ وغرفة النوم وغرفة الجلوس وما الى ذلك. فكل أيديولوجيا تتميز على هذا النحو بمجموعة من المفاهيم المركزية والهامشية ، وليس يتعين ان تكون كلها حاضرة في النظرية او المذهب حتى يتم التعرف عليها باعتبارها تنتمي الى تلك الأيديولوجيا . إن المطبخ ، على سبيل المثال ، لن يتوقف عن ان يكون مطبخا ببساطة لان الحوض او الفرن ازيلا ، وبالمثل سيظل المطبخ مطبخا ً عبر الزمان رغم وصول مخترعات جديدة كالة غسل الاطباق او فرن الميكروويف . ومع ذلك قد تكون الأيديولوجيات " سميكة" او "نحيلة" بمعيار حجم اثاثها المفاهيمي ، فبينما تقوم الأيديولوجيات الليبرالية والمحافظة والاشتراكية على مجموعة عريضة ومتميزة من القيم والمذاهب والمعتقدات ، تتسم ايديولوجيات أخرى كالفوضوية والنسوية بانها اكثر نحافة في المركز ، وعادة ما تتسم بطابع مستعرض، بحيث تضم عناصر من التقاليد الأيديولوجية الأكثر سمكا ً . ويفسر هذا أيضا ً لماذا يكون هناك جدل واضطراب (ربما غير قابل للحل) بخصوص ما إذا كانت القومية والتعددية الثقافية خصوصا ً ايديولوجيات اصيلة او مجرد زينة لأيديولوجيات اخرى تلعب دور المضيف بالنسبة لها .

وبالرغم من ذلك ، تجسد الأيديولوجيات ادعاء بكشف الحقيقة ، وبهذا المعنى يمكن النظر اليها "كأنظمة للحقيقة "(Regimes of Truth) . ومن خلال تزويدنا بلغة للخطاب السياسي ، وبمجموعة من الافتراضات والمقدمات عن كيفية عمل المجتمع بالفعل وما ينبغي ان يكون عليه ذلك ، تقوم الأيديولوجيا بإرساء بنية لما نفكر فيه وللطريقة التي نتصرف بها . و"كنظام للحقيقة" ترتبط الأيديولوجيات دائما ً بالسلطة ، وتسعى الأيديولوجيا ت في عالم من الحقائق والقيم والنظريات الى ترتيب القيم فوق بعضها البعض وفقا ً لسلم أولويات معين والى إضفاء الشرعية على نظريات معينة او مجموعات معينة من المعاني . واكثر من ذلك ، تساعد الأيديولوجيات ، لكونها تقدم خارطة فكرية للعالم الاجتماعي ، على إقامة العلاقة بين الافراد والجماعات من جانب ، والابنية الاوسع للسلطة من جانب اخر . وللك تلعب الأيديولوجيات دورا ً حاسما ً إما في دعم بنية السلطة القائمة ( من خلال تصويرها بانها عادلة او طبيعية او ملائمة او ما الى ذلك) او اضعافها او تحديها من خلال ابراز شرورها او مظالمها ، ومن خلال تركيز الانتباه على العوامل الجاذبة في بنى السلطة البديلة .

قد تكون الأيديولوجيا ملمحا لا ينفصل عن السياسة منذ أواخر القرن الثامن عشر لكن محتواها يتغير بشكل تام مع تسارع معدل التحولات الأيديولوجيا منذ ستينيات القرن العشرين وظهرت ايديولوجيات جديدة مرت بعملية إعادة تعريف وتجيد اتسمت بالراديكالية في بعض الأحيان . ونشأت الأيديولوجيا السياسية عن التحول من الاقطاع الى الراس مالية الصناعية بعبارة مبسطه تطورت التقاليد الأيديولوجيا المبكرة او الكلاسيكية – الليبرالية والمحافظة والاشتراكية – كمحاولات متباينة لتشكيل المجتمع الصناعي الناشئ فبينما ناصرت الليبرالية قضية الفردية والسوق والحد الأدنى من الحكم وقفت الايديولجيا المحافظة دفاعا عن النظام القديم الذي جرى تحصينه بشكل متزايد فقدمت الاشتراكية رؤية مختلفة تماما عن المجتمع القائم على الجماعية والمساواة والتعاون .

مع تقدم القرن التاسع عشر اكتسبت كل هذه الأيديولوجيات طابعا مذهبيا اكثر وضوحا ً وصارت مرتبطة بطبقة اجتماعية في المجتمع حيث مثلت الليبرالية أيديولوجيا الطبقة الوسطى الصاعدة والمحافظة أيديولوجيا الطبقة الارستقراطية والنبلاء والاشتراكية أيديولوجيا الطبقة العاملة المتنامية وفي المقابل تطورت الأحزاب السياسية حتى عبرت عن مصالح هذه الطبقات وقدمت تعبيرا ً عمليا عن الأيديولوجيات المختلفة ولذلك امتلكت هذه الأحزاب بصورة نمطية برامج سياسية وكان الجدل الأيديولوجي هو المعركة بين الفلسفتين الاقتصاديتين المتنافستين الرأسمالية والاشتراكية وهكذا كانت الأيديولوجيا السياسية بؤرة اقتصادية قوية وهو ما نجح في تمثيله الانقسام الى يمين ويسار وعبر عنه الطيف السياسي الذي يعود الى الثورة الفرنسية حينما تم ترتيب المقاعد الذي تبنته الجماعات المختلفة في اول اجتماع لمجلس الطبقات عام 1789م الذي ارتبط بتفضيل المساواة والملكية المشتركة من ناحية ومساندتها حكم ذوي المواهب العليا والملكية الخاصة من ناحية أخرى

اليسار

اليمين

الفاشستية المحافظة الليبرالية الاشتراكية الشيوعية

(شكل الطيف السياسي الخطي)

وصارت خطوط المعركة بين الرأسمالية والاشتراكية حادة بسبب الثورة الروسية عام 1917م التي خلقت اول دولة اشتراكية في العالم فقد حددت الخطوط الأيديولوجيا بنية السياسة الدولية خاصة فترة الحرب الباردة لما كان الغرب الرأسمالي في مواجهة الشرق الشيوعي حيث عكست الأفكار السياسية اليسارية نفورا من الرأسمالية ويتراوح ذلك من رغبة اليسار الصلب (الشيوعية والفوضوية) في الغاء الرأسمالية واستبدالها اليسار الناعم (الاشتراكية الليبرالية الحديثة) في اصلاح الرأسمالية وجعلها إنسانية وبتمايز عن ذلك تحددت الأفكار اليمينية (الليبرالية الكلاسيكية والايديولوجيا المحافظة) بالرغبة في الدفاع عن الرأسمالية وتوسعها .